

ثلاثة كتب كبيرة عن حرب الخليج

مقدمة كتاب (حرب تلد أخرى) لسعد البزاز

بقلم : بيير سالنجر *

بعد سنتين على نهاية أزمة الخليج فإن كتباً عديدة تكون قد نُشرت لتعالج هذه الأزمة وتفاعلاتها وقد ركزت معظم هذه الكتب على الحرب التي وقعت في الخليج ، مع ان أي كاتب مهتم بمعرفة أبعاد الأزمة واستشكاف جذورها لا بد ان يدرك ان الاحداث التي سبقت الحرب كانت هي الاكثر حساسية ودقة مما يستحق الدراسة والتحليل ، ولا شك ان من يسلك هذا المنهج سيصل الى نتيجة مؤداها ان هذه الحرب لم تكن ضرورية على الاطلاق .

لقد نُشر كتابان ، أحدهما لي بعنوان (الملف السري لأزمة الخليج) والثاني للكاتب الصحفي المصري المتميز محمد حسنين هيكل بعنوان (أوهام النصر) وكلاهما عالج القضايا والمشكلات التي مهدت للحرب ، ولم يركز احدٌ حتى الآن على الكتاب الحيوي الثالث الذي وضعه الكاتب الصحفي العراقي البارز سعد البزاز ، إنز لا شك ان معظم الخبراء الغربيين سيعتقدون ان كتاباً يضعه صحفي عراقي لا بد سيكون جزءاً من الدعاية الحكومية ، لكن هذا الكتاب وفي هذه الحالة ليس كذلك على الاطلاق .. انه كتاب دقيق يقدم للمرة الاولى حيثيات جديدة ومهمة حول حالة الارتباك التي سبقت الحرب ، وهو يؤكد مجدداً مضمون الجدل الذي يذهب الى انه كان بالإمكان منع وقوع حرب الخليج .

كان كل شيء يسير على ما يرام منذ أُعيدت العلاقات بين العراق والولايات المتحدة سنة 1984 ، وفي ذروة الحرب العراقية الايرانية .. وبينما كانت الولايات المتحدة تظهر دعمها للعراق برزت أزمة عاصفة في نهاية 1986 .. فقد أدرك العراقيون ان حكومة الولايات المتحدة كانت تجهز إيران بالأسلحة على ام حل مسألة الرهائن .. لكن البلدين تمكننا في النهاية من التوصل الى معالجة مرضية ، وتقرر في واشنطن احالة أية مبيعات من الأسلحة كان يحتمل ان تتسرب الى ايران الى غرفة عمليات للسيطرة فيب الخارجية الامريكية على ان تتبادل فيه الدولتان اية معلومات تتعلق بصفقات السلاح الايرانية بهدف الحد منها والسيطرة عليها ، وأذكر انني دخلت في مناقشة سنة 1987 مع طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي وريتشارد مورفي خبير الشرق الاوسط في الخارجية الامريكية الذي كان قد أُنتدب من قبل الرئيس رونالد ريغان لمقابلة الرئيس صدام حسين في بغداد ، وقد فهمت من المناقشة ان ميرفي نقل اعتذار الرئيس رونالد ريغان وشعوره بالأسف مع موقف ادارة ريغان نفسه من الصراع العراقي الايراني ، اما الرئيس صدام حسين فقد قال للسيد ميرفي : " حسناً .. اذا كان هذا هو موقفكم فان الامر يعتبر منتهياً .. "

وهكذا استقرت العلاقات بين بغداد وواشنطن على مستوى من الثبات في الجانبين السياسي والاقتصادي حتى نهاية الحرب العراقية الإيرانية .. ثم بدأت الإشارات تختلط على الإدارة الأمريكية كما يبين ذلك سعد البزاز الى في هذا الكتاب ، وكانت بعض تلك الإشارات إيجابية وبعضها سلبية إلى الحد الذي حصل فيه قدر كبير من الاختلاط والتشويش الى درجة وضعت فيها الحكومة العراقية قواتها المسلحة في حالة تأهب قصوى في لحظة الدخول الى الكويت وهي على قناعة تامة بأن الولايات المتحدة ستهاجم العراق على الفور .

أما الموضوع الآخر الذي يستحق التأمل والفهم فيتعلق بالموقف الذي كان قائماً بين العراق والكويت ، اذ مضت سنوات طويلة على صراع يتعلق بالحدود ، وقد بذلك الحكومة العراقية بعد انتهاء الحرب مع إيران جهوداً ماضية وجدية لحل هذه المشكلة ، إلا أن حكومة الكويت تمسكت بردود فعل تتسم باتخاذ مواقف متشددة بلغت ذروتها في اجتماع جدة الذي عقد في 31 تموز (يوليو) 1990 ، ولا شك ان الغضب العراقي على الموقف الكويتي قد حفز الحكومة العراقية على اتخاذ قرار الدخول الى الكويت ، لكن أحداً لا يعرف أن مكالمة هاتفية ، لو حصلت ، من الرئيس جورج بوش إلى الرئيس صدام حسين في الأيام الأخيرة من شهر تموز (يوليو) 1990 كان يمكن أن تمنع ما وقع . لو قال بوش : " سيادة الرئيس إنني أرى أن هناك مائة ألف من الجنود قد احتشدوا على الحدود مع الكويت وهذا يقلقني .. لأن الحرب ستقع حتماً إذا ما عبرت هذه القوات الحدود وأنداك فان العراق سيخسر الحرب . لكنني أفهم

* بيير سالنجر : كاتب وصحفي امريكي بارز ، شغل موقع المتحدث الرسمي باسم الرئيس الاسبق جون كندي ثم تفرغ للعمل الصحفي وإصدار الكتب ، وأقام في باريس ثم انتقل الى لندن حيث تولى ادارة مكتب شبكة أي بي سي التلفزيونية ، زار معظم البلدان العربية والتقى قادتها ، أصدر اول كتاب عالمي عن أزمة الخليج بعنوان (الملف السري) .

في الوقت نفسه إنكم تواجهون المصاعب في مفاوضاتكم التي تهدف للوصول الى اتفاقية مع الكويتيين حول الحدود والمشاكل الأخرى المعقدة ، لذلك سأوفد وزير الخارجية ، جيمس بيكر ، الى بغداد غداً لملاقاتكم ثم أبعثه بعدئذ إلى الكويت ليتدخل كوسيط لتسوية المشاكل القائمة بين البلدين .. ومن الحق أن أقول إنني حيثما بحثت هذا السيناريو مع أي من المسؤولين العراقيين الكبار كان قد وافقني بأن مكالمة هاتفية من هذا النوع كان بإمكانها أن تؤدي إلى تحاشي العبور إلى الكويت .

أما النقطة المهمة الأخرى التي يؤكد لها سعد البزاز فهي أن صدام حسين كان مستعداً لترك الكويت في وقت مبكر بعد الدخول إليها في حالة التوصل إلى حل عربي ، لكن ما بدا واضحاً هو أن الولايات المتحدة لم تكن لتقبل بأي حل عربي وقد تدخلت بكل الطرق لتمنع الحل العربي من التحقق ... وقد اقتنع الرئيس بوش بآراء رئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر القاضية بأن الحروب وحدها هي الحل ...

لقد بقيت الحرب الحل الوحيد حتى عندما وافق العراق على الانسحاب من الكويت ، ففي الثالث والعشرين من شباط (فبراير) 1991 ، وقبل ساعات من بدء الحرب البرية وافق العراق على الانسحاب مقابل ضمانة من الزعيم السوفيتي آنذاك ميخائيل غورباتشوف بأن الولايات المتحدة التي تقود التحالف لن تشن الهجوم البري وان العراق في هذه الحالة سيتخلى عن مطلبه في الربط بين أزمة الخليج وإيجاد حل للمسألة الفلسطينية .. إن سنوات عدة قد تمر حتى يتمكن العالم من تقويم هذا الكتاب الرائع لسعد البزاز ، كما هو الأمر بالنسبة لكتابي وكتاب محمد حسنين هيكل .. فهذه الكتب هي التي تفسر حقيقة جذور أزمات الخليج وأبعادها لا الكتب التي لم تعالج غير الحرب وحدها ..